كيف نربى الطفل على الحرية

جدير بنا ونحن على أبواب عهد قامت فيه الأمم الفتية الناهضة تفقد الحرية وتبذل فى سبيلها ما تبذل ، أن يكون أول ما نعنى به فى تربية الطفل ، غرس خلق الحرية فى نفسه وتركه يتمتع بنسيمها ويمرح فى ميدانها ويرضع من ألبانها حتى يشب وقد جرى حب الحرية منه مجرى الدم من الجسم ، فتنشىء لمصر الناهضة مستقبلا حرا وتابا قوى الابتكار ، يشق طريقه فى الحياة لنفسه ولا سلطان عليه إلا سلطان الفضيلة والضمير

ولا أعنى بالحرية هنا ما يندرج تحت معانيها المتباينة من حرية سياسية واجتماعية وفلسفية ، وانما الذى أعنيه من حرية الطفل هو إزالة العقبات والموانع التى تحول دون إظهار ميوله الشريفة ومواهبه النافعة .

ولست ممن يقول بترك الطفل فى حريته يمرح كيف يشاء وأنى يشاء ومتى يشاء من غير قيد ولا شرط وبدون حساب ولا رقابة ؛ فأن هذا وإن أظهرت بعض ميوله الشريفة فظهور ميوله الدنيئة الخسيسة فيه أجلى وأظهر ، وهى تنتج فى الغالب عكس ما يتطلبه ونرجوه من تنمية إرادته وتقوية مجهوداته إذ الأفراط فى التسامح مع الطفل والمغالاة فى تركه يستسلم لخياله وتصوره الصبيانى ، يجعل الطفل كأطفال السوء والشقاء يشب طاغيا قطا طائشا غليظ الطباع قاسى المعاملة مع إخوانه وأخواته ، محبا للخصام ، عدوا للنظام يسعى على كل ملهواه نفسه ويخرج من كل مارسمه له من حدود الطاعة والنصح

لهذا يجب أن نوفق بين أن نطلق عنان الحرية للطفل فيجمح بنا إلى حيث لانستطيع معه كبح جماحه ، وبين أن نقيده تقييدا يمنع عنه الحركة والرقى ، ويقتل فيه مواهب التفكير والابتكار والشجاعة ويخمد فيه الغرائز الشريفة .

يجب أن نختار حدا وسطا يكون بين ذلك قوام إذ الأفراط والتفريط مضران مذمومان . وما الاعتدال فى هذا إلا أن نقيد حريته عند كل ما يعرض الطفل للخطر وإظهار الغرائز الدنيئة ونطلقها وتشجعها عند كل مالا يؤدى إلى شىء من هذا أو يساعد على نموه بدنيا وعقليا ونفسيا

ولما كانت النفس الانسانية كما قال الامام الغزالى فى كتابه (ميزان العمل) معدنا للعلم والحكمة ومنبعا لها وهى مركوزة فيها بالقوة فى أول الفطرة لاتكاثر النار فى الحجر ، والماء فى الأرض والنخل فى النواة ، ولا بد من سعى لابرازه بالفعل كما لا بد من سعى فى حفر الآبار لخروج

الماء . وجب علينا أن نعمل على كل ما يثير فيها العواطف الشريفة وأن تكون البيئة المنزلية والمدرسية فى حالة تغرى الطفل وتعرض عليه من المسائل ما يستميله إلى حلها أو التفكير فيها أو الاستكشاف أو الابتكار .

ولهذا وجب أن تتوفر فى مدارسنا الأولية الحدائق والملاعب والأعمال اليدوية والصناعات العملية ليظهر فيها نبوغ الطفل ومجهوداته .

اترك طفلك وما يشتهيه ولا تعارضه فى شىء إلا إذا كان فى المعارضة خير له . ولا تلزمه بالقهر والإكراه اتباع أمرك أو تقليد رأيك كقائد جبار يملى أوامره على جنوده فى ساحة القتال ومعترك المنايا فى غير ما حاجة ولا ضرر يخاف منه فإن هذا مما يميت فيه قوة عزيمته الشخصية ويفقده الإرادة والاختيار ، والأجدر بك أن تسلك فى سبيل تربيته الاقناع دون القهر ، فإذا هفا هفوة أو أتى فعلا ضارا فعليك إقناعه بضرره وسوء عاقبته فى صورة ساذجة تجذبه إلى سلوك ما تريد دون أن يشعر منك بهجوم على حريته واختياره ، فإنك إذا أخذته من أول الأمر بالقهر والإرغام على الطاعة واتباع الأوامر فقد يعمل الشر ثم خوفه من العقاب يخترع لاخلاص أساليب شيطانية ويصبح بعد قليل داهية فى الخداع والمكر سيما بعد كبره واستكمال قواه . وإنا نشاهد فى الطفل الذى يأخذه أبوه بالشدة والقسوة تدبير حيل يعجز عن حياكتها الكبار وقل أن تفيد فيه بعد نصيحة ناصح أو عظة واعظ أو ينقاد لمنطق صراح ، لأنه تعود ألا يخضع إلا بالضغط والإرغام .

كذلك اترك طفلك مختارا فى حركاته وسكناته ومقتضيات غرائزه وطباعه ولا تجبره على ترك ما يثيره من الانفعالات النفسية إلا إذا نتج من هذا فعل شىء ضار وعادة سيئة فحينئذ ذلك يكون إما بصرف وجهه إلى ما يلهيه ويشغل فكره عنه بشىء تحبه نفسه ويهواه فؤاده كالغناء والموسيقى وذلك أحسن وسيلة لمكافحة الطباع الفاسدة وحفظ غرائز الطفل من الاماتة والضياع . حكى فى هذا أن لصاً مولعا بسماع الغناء من عهد طفولته ، اعترم دخول منزل من المنازل الشهيرة ليسرق فى زحامها فلما أخذ مكانه وسرت فى جسمه موجات الغناء نسى الغاية التى جاء لأجلها وخرج كغيره من المتفرجين . وإما أن تعمل على إبعاده عن كل ما يحرك فيه ذلك الوجدان السيء ويبعث فيه الرغبة والميل إلى مقارنته فإن للمؤثرات الخارجية المعنوية من الأثر سيئا كان أو حسنا حسب المؤثر ، سيما فى نفسية الطفل ما للمؤثرات الخارجية المحسة فكما أنك لو قربت إلى لسانك قطعة من سكر أدركت أثر حلاوتها أو قطعة من ملح أدركت أثر ملوحتها ، كذلك الحال إذا قربت الطفل فى أمكنة اللهو والفساد واعتاد العمل

فيها أو فى أمكنة الطاعة والعبادة ، تأثيرها وانعكست صورتها فى نفسه وتكونت هيئة راسخة فى النفس مع طول الاعتياد ، تقتضى تلك الأفعال وتنقادله بحيث يصير ذلك بالعادة كالطبع ويخف عليه ما كان يستثقله من الخير والشر حسبما تأثر به ؛ ولما كانت كل علة موجبة للمرض إنما تعالج بضدها ، فإن كانت من حرارة فبالبرودة أو بالرطوبة فبالخمصة فكذلك الأمراض النفسانية والعادات السيئة الناتجة من الاعتياد علاجها بضدها وذلك بإبعاده كما قدمنا عن كل ما يحرك فيه هذا الخاطر السيء والوجدانات الضارة ، ولنرسل إلى العقل مقابل هذا أحسن المؤثرات الخارجية نرسلها شعاعا قويا من الفضيلة كشعاع الشمس ينير صفحة النفس ويملؤها هدى وقوة، بهذا وحده نضمن غرس الحرية فى نفس الطفل من غير شذوذ أو جموح ونجنى ثمارها الزكية فى المستقبل الآتى والأجيال القادمة إن شاء الله تعالى .

حسن النجار المصرى

المدرس بمدرسة بنوس

النظام . .

لئن كان فى المرء شيء ينبيء عن وجدان عقله فما ذاك إلا انتظام شئونه ـ نقول هذا وكلنا يرى السماء وزينتها ، والكواكب وحركتها ؛ والشمس وضوءها ؛ والأهلة كيف تبدو هنيئة فى مرأى العين ثم تتزايد ثم تتناقص حتى يمحى ضوءها . وإن ما فى عالم السموات ليس بأخفى مما فى عالم الأرض وإنما نظرهاتيك للتأمل ! ! فهذه الأشجار وأزهارها وثمارها لايدرك كنهها إلا أولو البصائر

وهذا النمل الصغير يسير أسرابا منتظمة فجاءة غادية ، وأخرى رائحة ـ وتلك خلية النحل فيها مايدهش العقول ويحير الألباب ؛ فاجعل النظام رائدك فى كل الأعمال ، ودأبك فى جميع الأحوال لتحيا سعيدا فرب مانستخف به اليوم يسوءك فى الغد

محمد بشار المصالحى

مدرس ـ مدرسة المرسى الأولية